تنظيمات الجيش في العصر العباسي الأول

د/ كمال بن مارس

جامعة 8ماي 1945قالمة

مقدمـــــــة:

على الرغم من أن المصادر التي بحثت في العصر العباسي كثيرة ومتنوعة، إلا أن أغلبها لم يتناول النواحي المتعلقة بالتنظيمات العسكرية إلا بإشارات عابرة وكأنها من الأمور البديهية والمعروفة، لذلك سنحاول من خلال هذه الدراسة استنباط المعلومات والحقائق التاريخية من المصادر التي تيسر الحصول عليها. كما سنحاول إيضاح الكثير من التعابير والمصطلحات العسكرية الغريبة التي ترد عرضا في كتب التاريخ، والتي تستوقف الباحث كالاصطلاحات التعبوية أو أسماء الأسلحة أو فرق الجند أو مصطلحات ديوان الجند. كما أننا سوف نتطرق إلى تنظيمات الجيش العباسي سواء صفوفه أو أسلحته أو أساليبه التعبوية في القتال أو وسائل مخابراته، أو طرق مواصلاته التي بلغت الذروة في التنظيم.

أولا: تنظيمات القوات البرية:

1- عناصر الجيش العباسي ونظام تعبئته: كان الجيش الإسلامي الذي قام بالفتوحات يعتمد على العنصر العربي بشكل رئيسي في عهد الراشدين وحتى العصر الأموي فكان يتكون من العرب اليمنية والمضرية[1]. ولما آلت الخلافة إلى العباسيين دخل عنصر الخراسانية في الجيش، وصار الجيش على أيام أبي جعفر المنصور يضم ثلاث فرق هي: اليمنية والمضرية وهم من أهل العراق والشام[2]؛ والخراسانية وتطلق هذه التسمية على أهل الأهواز وفارس وكرمان ومكران وسجستان وقوهستان وخراسان[3]، وكان يطلق عليهم المسودة[4]. لأنهم اتخذوا

---

1 الطبري، تاريخ الأمم والملوك، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف مصر 1966، ج 7، ص 318.

2 الطبري، ج7، ص 277. نعمات ثابت، الجندية في الدولة العباسية، بغداد 1939، ص 312.

3 الطبري، ج7، ص 357؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، بيروت 1385هـ، ج6، ص 817.

4 نعمات ثابت، المرجع السابق، ص 212، محمد فرج، المدرسة العسكرية الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة (د.ت)، ص 167.

السواد شعارا لهم، وظل الخراسانيون لمدة قرن تقريبا يكونون القسم الأكبر من جند الخلفاء حتى جاء المعتصم. ويذكر **فان مولتن**[1] أن الحكومة العباسية كانت لا تدخر وسعا في القضاء على الجيوش العربية أو اقصائها عن البلاد إذا ما أبت النزول عن امتيازاتها التي كانت لها في عهد بني أمية. ويذكر الطبري[2] أن المنصور كان له حرسا من جنده "إن المنصور حينما بني بغداد سنة 145هـ خصص مقاصير لجماعة من قادته تطل أبوابها على رحبة المسجد، وحينما نقل الأسواق التي كانت مقامة تحت طاقات أبواب المدينة الأربعة خارج المدينة خصص مكانها لحرسه وشرطته". ولما ولى المهدي الخلافة اتخذ حرسا له من العرب وكانوا حوالي خمسمائة من عرب الحجاز وأقطعهم أرضا بجوار بغداد. ولما زاد العنصر الفارسي في الجيش العباسي زمن البرامكة، ألفت فرقتان جديدتان:

أ- **العباسية**: أعدها الفضل بن يحي البرمكي من الفرس في خراسان وعددها خمسمائة ألف جندي.

ب- **الكرنبية**[3]: وهي من طوائف خراسان العباسية قدمت إلى بغداد وسميت فيها بهذا الاسم وعددها عشرون ألف.

بدأ العنصر التركي يظهر إلى جانب العنصر العربي والفارسي في الجيش العباسي منذ عهد المنصور، وكان عددهم قليلا، ولما جاء الرشيد كان بعض الأتراك قد وصلوا إلى إمارة الألوية في الجيش، كما ولي بعضهم الثغور الشامية (أبو سليم فرج الخادم) وهو أول قائد تركي قاد الجيوش العباسية لحرب الروم في عهد الرشيد، وكان على أنطاكية؛ كما حارب الأتراك مع جند المأمون في معركته ضد أخيه.[4]

وفي خلافة المأمون كان المعتصم يشتري الأتراك في سمرقند حتى اجتمع لديه حوالي ثلاثة آلاف غلام، وذلك لحاجته لاستخدامهم في غزواته ضد الروم، وعلى عصر المعتصم

---

1 فان مولتن: السيادة العربية والشيعية والإسرائيليات في عهد بني أمية، تر حسن إبراهيم حسن، مطبعة السعادة، ط1، مصر 1934، ج7، ص 133 134.

2 الطبري، المصدر السابق، ج7، ص 652 653.

3 كلمة كرنب: فارسية معناها للكرنب الملفوف والبنجر ومسمار الحديد، ويبدو أن هذه التسمية نسبة إلى الخوذ التي كانت الفرقة تلبسها على الرأس وتشبه الكرنب الملفوف.

4Rouben levy, the Social Structure of Islam, cambridge 1962, P 417.

كوّن منهم فرقة خاصة سميت الفراغنة نسبة إلى فرغانة من مدن ما وراء النهر، كما ظهر على عهد المعتصم عنصر رابع في الجيش هو عنصر المغاربة وهم من جرف مصر وأيسن وقيس. وكان استعمال المعتصم للأتراك خوفا من تزايد نفوذ الفرس الذين أضحوا يطمحون في السلطة لاسيما بعد أن قضوا على الأمين وأوصلوا المأمون إلى كرسي الخلافة. كما استخدمهم المعتصم لأن أمه تركية، كما أعجب بشدتهم وفروسيتهم، فالتركي بارع في الصيد، صبور في السفر، شجاع، مطيع في خدمة قادته.

ويرى **ديمو بين**[1]: "أن سبب اعتماد العباسين على الأتراك هو أن الخراسنيين الذين يؤلفون القسم الأكبر من الجيش قد استنزفوا قابليتهم الحربية مما اضطر الخلفاء إلى الاعتماد على مرتزقة الأجانب من غير الفرس وتطعيم الجيش بعنصر جديد يتمتع بالقدرة على القتال". كما يذكر **برنارد لويس**[2] في كلامه عن أثر الإسلام على الترك "أن الإسلام التقى بالترك أول مرة على الحدود في الفتوحات ومنذ ذلك الوقت احتفظت عقيدتهم بشيء من الصبغة التي تميز الإسلام في الثغور وهي الدين العسكري الخالي من التعقيد، ولم يكره التركي على الدخول في الإسلام، وعلى حدود الخلافة شرقا وغربا لم يزل المقاتلة في الثغور محافظين على سير الإسلام الأول وقوة شكيمته وحريته".

أكثر المعتصم من الأتراك حتى بلغ عددهم سبعين ألفا وألبسهم أنواع الديباج والمناطق الذهبية، مما ترتب عليه إثارة شعور أهل بغداد، ومن الطبيعي أن وجود فرقة عسكرية جديدة في عنصرها متميزة في مظهرها، بدوية في تصرفها في وسط متحضر كبغداد لا بد أن تثير تذمرا، ثم إن المنافسة بين العرب والفرس قد خفت حدتها بظهور العنصر التركي، مما ساعد على توحيد شعور العنصرين ضد الأتراك، الأمر الذي جعل المعتصم يفكر في بناء سامراء سنة 221 هـ لتكون مقرا له ولجنده الـ 250 ألف.

كما أنه في عهد المعتصم كان الغلمان (من الأتراك) حينما يبلغون سن البلوغ يتعلمون العلم في البلاد والتدريب على الفنون الحربية وكانت لهم ثكنات خاصة يعيشون فيها بحسب

---

1 ديمو بين: م.غو دفروا، النظم الإسلامية، تر فيصل السامر، صالح الشماع، دار النشر للجامعيين، بيروت 1961، ص 160 161.

2 برنارد لويس، تركية، ترجمة صدقي حمدي، القاهرة (دت)، ص 465.

أنظمة عسكرية استعدادا لحراسة الخليفة. ولما ولي الواثق بعد وفاة أبيه المعتصم سار على سياسته في الاعتماد على الأتراك في الجيش والإدارة. والواثق هو أول من استخلف سلطانا من خلفاء بني العباس وكان أشناس التركي سنة 228هـ، ولما توفي خلفه إيتاخ، ثم بغا سنة 232هـ.

2- تعبئة الجيش:

التعبئة من عبأ فيقال عبأتهم تعبئة وقد يترك الهمزة فيقال عبيتهم تعبية أي رتبتهم في مواطنهم وهيأتهم للحرب.[1] والتعبئة في النظام الحربي الإسلامي تعني تنظيم الجيوش وصف الكتائب وتحريكها قبل المعركة وبعدها مع حشد جميع الإمكانيات المادية والمعنوية للنصر في المعركة.

اهتم الخلفاء في مستهل العصر العباسي بتنظيم الجيوش وكانوا مسؤولين عن إقرار الحرب والسلم، ولما عقد الرشيد ولاية العهد المأمون جمع القضاة وكبار رجالات الدولة ليشهدوا أن كافة أمور الجيش بما فيها خزانة السلاح والخيل والتجهيزات بيد ابنه المأمون. كذلك عني الخلفاء العباسيون بنظام تعبئة الجيش بصورة خاصة فكان للجيوش الإسلامية القدرة على التحرك وتعبئة قواتهم في وقت قصير مما كفل لهم النصر على الروم، وقد وصف الإمبراطور قسطنطين شجاعة المسلمين قائلا: "إنهم مغامرون ميالون إلى الحرب بحيث لو أن ألفا احتلوا موضعا غدا من المستحيل إخراجهم".[2]

كانت قوات الجيش تقسم إلى قسمين:

أ- القوات النظامية: وهم الجند المثبتون في الديوان وتدفع لهم رواتب من بيت المال.

ب- المتطوعة: وهم المتطوعون أثناء الحرب ويحمون الثغور، وكانوا يستخدموا في حالتين، الأولى الإحاطة بجناحي العدو دون أن يختلطوا بالجنود النظاميين، والثانية الإغارة على العدو قبل نشوب الحرب ومطاردته حين تقهقره. وكان المتطوعة عنصر فعالا في الحرب حيث يقدمون على الحرب لحماستهم ورغبتهم في الثواب حتى أن بعضهم قال للإفشين وهو يحارب بابك "أيها الأمير لا تحرمنا شهادة إن كانت قد حضرت وإنما قصدنا وطلبنا ثواب الله ووجهه".

---

1 ابن منظور، لسان العرب، بولاق القاهرة 1300 1308هـ، مادة: عبأ.

2 إبراهيم العدوي، الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم، مكتبة الأنجلومصرية، ط2، القاهرة 1952، ص 184.

وكان الخليفة إذا ما دعت الحاجة إلى إرسال فوات لتبره للقتال يأمر بفرض البعوث[1] على سكان بعض ولايات الدولة ويحدد العدد اللازم من كل ولاية. وهذا يشبه النفير الجزئي أو التعبئة الجزئية. كان الجيش العباسي يتكون من صنفين من المحاربين وفق أسلحة كل منهم:

ج- **الفرسان**: وهم الخيالة، وكانوا يؤلفون الصنف الأساسي عند العرب ويتسلحون بالسيوف والحراب والرماح، ويضعون المغافر على رؤوسهم ويلبسون الزرد والدروع، ويحملون في السروج تحت أرجلهم الفؤوس والدبابيس التي تستعمل في تهشيم الخوذ الحديدية.[2] وباعتماد العباسيين على الأتراك زادت أهمية الفرسان في الجيش، لأن الأتراك بطبيعتهم فرسانا ماهرين لأنه: "لم تشغلهم الصناعات والتجارات والطب والفلاحة والهندسة ولا غرس ولا نبت ولا شق أنهار ولا جباية غلات ولم يكن همهم غير الغزو والصيد وركوب الخيل... وكان التركي هو الراعي، وهو السائس، وهو الرائض، وهو النحاس، وهو البيطار، وهو الفارس، أي أنه هو الذي يقوم على الخيل ويدربه ويروضه كما أنه هو البيطري."[3]

أ- مهام الفرسان:

1- الاستطلاع: وكانوا يختارون أهل النصيحة والنجدة والتجربة في الحرب للقيام بهذا الواجب، وكانوا يتحاشون الاشتباك بالعدو عند الاستطلاع لأن الغاية من واجبهم هي تقدير قوة العدو وكشف مواطن الضعف لذلك فإنهم لا يلبسون الدروع والتروس التي تعيق حركتهم كما كانوا يركبون الخيول السريعة، وقد اعتمد الجيش العباسي في عمورية على الفرسان لاستطلاع الطرق ومعرفة مواقع العدو.

1البعوث: إنهم الجند الذين يفرضون على الولاية من قبل الخليفة للذهاب إلى الحرب وهم ليسوا بجند نظامي ولا من المتطوعة (مرتزقة).

2المغافر: جمع مغفر وهو نوع من الخوذ المنسوجة من الزرد، والزرد حلقات من المعدن تستعمل لحماية الصدر، والدرع ثوب ينسج من حلقات حديدية متداخلة ويلبس على القسم الأعلى من الجسم وله أكمام قصيرة إلى منتصف الذراع وقد يكون له سواعد من حديد، والدبوس عبارة عن هراوة من حديد في طرفها كتلة صغيرة تستعمل في تهشيم الخوذ المعدنية ويحملها الفرسان في السروج تحت أرجلهم.

وكان على الفرسان أن يحملوا في غزواتهم من المتاع والحاجات ما خف وزنه وعظمت فائدته.

3الجاحظ، رسائل البلغاء، تح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة 1964، ج1، ص 49، 70، 71.

2- **الإغارة على العدو**: ويسمى باحملة أو الهجوم الراكب، وكانوا يفضلون الحصن على الأفراس[1] لقيام هذا الهجوم لقوتها، ويحملون على العدو حملة رجل واحد.

3- **المطاردة**: مطاردة لجيش العدو المنهزم بقوة الفرسان المهاجمين أو بقوة من فرسان الاحتياط وتسمى هذه القوة بالمدد.

4- **حماية الجيش أثناء المسير**: حيث كانت تكلف فرقة من الفرسان لحراسة الطرق والمواضع المهمة للحيلولة دون تعرضهم لمباغتة جيش العدو وفي الليل يحيطون بالمعسكر لحمايته، لذلك فإن الخليفة المعتصم تخوف من مباغتة الخرمي فكتب للأفشين أن يجعل فرسانه كراديس تقف على ظهور الخيل، وتدور حول المعسكر ليلا ونهارا بالتناوب ليكونوا على استعداد لرد العدو إذا هاجمهم.[2]

5- **حماية القوافل التي تحمل المؤن والعتاد**: حيث يكلف قسم من الفرسان بذلك ويسمى البذرقة أو الخفارة.[3]

6- **حماية الجيش أثناء القتال**: فقد كان يكلف عدد من الفرسان لمسك الجبال والمراعي ومصادر المياه لقطعها على العدو والسيطرة عليها للاستفادة منها، كما توضع جماعة على طرفي ميمنة الجيش وميسرته لتكون وقاية لهما ولمنع العدو من اختراق صفوفهم، وتوقف جماعة على هيئة كراديس خلف يمنة الجيش وليس لهم واجب غير مهاجمة معسكر العدو والاستيلاء عليه وإعطاء الفرصة لبقية الجند للإجهاز عليه.[4]

ب- **المشاة (الرجالة)**: وهم يتسلحون بالسيوف والحراب والرماح والمزاريق والقسي والسهام، ويلبسون الدروع كما تلبس الخيالة ويحمون رؤوسهم بالخوذ، وكانت رماح الجند (المشاة) الطويلة الصماء التي يتسلح بها العرب والفرس هي الغالبة في الجيش العباسي إلا أن

---

1 الحصن: جمع حصان وهي الذكور من الخيول، والأفراس جمع فرس وهي الإناث من الخيول.

2 الطبري، ج9، ص 30،31.

3 خفر: أجاره وحماه وأمنه.

4 الهرثمي الشعراني، مختصر سياسة الحروب، تح عبد الرؤوف عون، دار المعارف، مصر 1961، ص 34 39.

لأتراك أضافوا المطارد والقلنسوة القصيرة المخروطة التي وصفها الجاحظ[1] أنها أشد طعنا وأخف في الحمل، كما كان المشاة يرتدون أقبية قصيرة متدلية إلى ما تحت الركبة وسراويل ونعالا.

كان المشاة يؤلفون الجزء الأكبر من الجيش، ويقع عليهم الاصطدام المباشر مع جيش العدو، وقد امتاز الجند المشاة في الجيش العباسي بقابليتهم على القتال في مختلف الأماكن وتحت مختلف الظروف فهم في حروب بابك الخرمي في مناطق أذربيجان وأرمينية يجتازون الوديان والمضايق ويصعدون إلى رؤوس الجبال، وفي معركة عمورية قطعوا مئات الأميال وهم يذكون حصون الروم حتى وصلوا عمورية.

كان أمراء المشاة يركبون الخيل لكي يسهل عليهم الانتقال في المعركة بين الجيش فيقول الجاحظ: "وقائد الرجالة لا يكون إلا فارسا". ويذكر **روبن ليفي**[2]: "أن العباسيين لم يستعملوا المشاة دائما إذ كانت معظم العمليات الكبيرة من قبل الخيالة، وإذا احتاجوا المشاة فغالبا ما كانوا يضعونهم وراء الخيالة". وكان لأفراد الجيش رتب تميزهم فيذكر المسعودي[3] "أنه كان على عشرة جنود عريف وعلى كل عشرة عرفاء نقيب وعلى كل عشرة نقباء قائد وعلى كل عشرة قادة أمير". ويذكر العدوي[4] أن العباسيين اتبعوا نظام الروم في تقسيم فرق الجيش فقد كان في عهد المأمون كل عشرة جنود تحت قيادة عريف وكل خمسين عريف تحت قيادة خليفة وكل مئة خليفة تحت إمرة قائد، وكانت كل عشرة فرق وتعدادها عشرة آلاف تحت إمرة أمير.

ومن واجبات أمير الجيش:[5]

1- حراسة الجيش من العدو كي يطمئن وقت الراحة ويأمن ظهره في الحرب.

2- اختيار موضع النزول لإدارة المعركة واستغلال محيطها للمرعى.

3- إعداد ما يحتاجه الجيش من مؤونة احتياطية لوقت الحاجة.

---

1 الجاحظ، المرجع السابق، ص 52.

2 Reubenlevy, op cit, p 429.

3 المسعودي، مروج الذهب ومعدن الجوهر، تح محمد محي الدين، مطبعة السعادة، مصر 1958، ج6، ص 652.

4 إبراهيم العدوي، المرجع السابق، ص 184.

5 الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة (دت)، ص 41، 42، 47، 49.

4- التعرف على أخبار العدو وأحواله.[1]

5- الاهتمام بتشجيع الجيش ورفع معنوياته وحثه على الصبر والبلاء.

6- معاقبة أفراد الجيش الخارجين عن النظم العسكرية.

7- منع الجنود من العمل في التجارة والزراعة كي لا ينشغلوا على الجهاد.

8- مشاورة ذوي الرأي في أمور الحرب.

وكانت وحدات الجيش العباسي المختلفة تتكون من:

1- **الجريدة**: وهي أقل العساكر عددا وكذلك الفصيلة.

2- **الرهط**: ويطلق على ما بين الخمسة إلى العشرة من الجند.

3- **الحضيرة**: وتطلق على العشرة جنود فأقل.

4- **العصبية**: وتسمى المقنب أو المنسر ويتفاوت عددها بين الثلاثين والأربعين.

5- **السرية**: وعددها بين الأربعين والخمسين.

6- **الكتيبة**: وعددها بين مائة وألف جندي.

7- **الجيش**: ويتألف من أربعة آلاف جندي ومثله الفيلق.

8- **الجحفل**: وعدده من ألف إلى أربعة آلاف جندي ويكون فيه الخيل والمشاة.

9- **الخميس**: ويتألف من أربعة آلاف إلى اثني عشر ألفا ويسمى الخميس لتكوينه من خمس فرق هي: المقدمة، الساقة، الميمنة، الميسرة والقلب.

10- **العسكر**: ويطلق على جميع أفراد الجيش.

وما يذكره الهرثمي[2] عن وحدات الجيش ما يأتي:

السرايا ما بين الثلاثمائة جندي إلى الخمسمائة وهي التي تخرج بالليل، أما التي تخرج بالنهار فتسمى السوارب، ويطلق اسم الجيش على ما زاد الخمسمائة جندي، ويطلق اسم المياسر على ما دون الثمانمائة، وما زاد عن الثمانمائة إلى الألف فهو الحسماس، وما بلغ

---

1 يذكر الهرثمي، ص 23 25 أهمية الجاسوسية في الحرب عند المسلمين، وبفضل مهارة الجواسيس استطاع أبو مسلم الخراساني أن يبث الهزيمة بين قادة الأمويين ويحمل عليهم، واستطاع كذلك قائد المأمون طاهر بن الحسين أن يوقع الخلاف بين جند الأمين، ثم أصبح القادة يبالغون في كتمان.

2 الهرثميالشعرالي، مختصر سياسة الحروب. ص 115، 116، 117.

لألف جندي فهو الجيش الأرهم، وما بين أربعة آلاف فهو الجيش الجحفل، وما بلغ الاثنا عشرة ألف فهو الجيش الجرار، وإذا افترقت السرايا فما كان دون الأربعين فهي الجريدة، وما كان في الأربعين إلى دون الثلاثمائة فهي القانب، وما كان من الثلاثمائة إلى دون الخمسمائة فهي الحمرات، وإذا كانوا أربعين جندي سموا العصبية.

ج- طرق التعبئة:

تطور نظام التعبئة في العصر العباسي بعد ازدياد عدد الجيش، وتطور أنظمته بما يلائم حاجته العسكرية في مختلف معاركه القتالية، وغدت أنواع التعبئة في الجيش العباسي خمسة أنواع.

1- نظام الكر والفر:

وهو نظام كان العرب يتبعونه قبل الإسلام، فكان المقاتلة يحملون على العدو بكل قوتهم النشابة (النبالة) منهم والذين يضربون بالسيوف ويطعنون بالرماح أو يرمون بالمزاريق مشاة وفرسانا، فإن صمد العدو وأحسوا بتفوقه تراجعوا لإصلاح الخلل ثم كروا مرة أخرى، وكان العرب في القتال يركبون الإبل ويتركون الخيل وراءهم فإذا وصلوا ساحة القتال ركبوا الخيل وتركوا الإبل وراءهم يقودها الصبيان وبهذا يثبتون أقدامهم في المعركة.[1]

2- نظام الخميس:

وهو تقسيم الجيش إلى خمسة أقسام الميمنة والميسرة، وهما الجناحان (wings) ويكون فيهما أهل الخبرة بالحروب، والقسم الثالث وهو المقدمة وتسمى الطلائع وتضم أصحاب الخيول السباقة في الرمي والخفيفة في الطراد، والقسم الرابع هو المؤخرة، أما القسم الخامس فهو القلب وهو مركز الأقسام السابقة ويضم أهل الثبات والصبر، وفيه مقر القائد العام وحاشيته، وكان القائد ينتقل من موضع لآخر ويرتب جنوده وينجد كل مكان كثر فيه العدو بطائفة من عساكره فيحافظ على الارتباط بأجزاء الجيش وأمراء التعبئة كما يشرف على سير المعركة، ويتكون الخميس أحيانا على نظام الصفوف وعلى هيئة الكراديس، وعلى كل كردوس قائد وحاشية وراية وبين الكردوس والآخر مساحة مناسبة حسب طبيعة الأرض

1 الهرثمي، المصدر السابق، ص 36.

وسلاح العدو.[1] وقد استعمل أبو مسلم الخراساني نظام الخميس على هيئة الكردوس في محاربته عبد الله بن علي عم المنصور سنة 137 هـ وانتصر عليه.

3- نظام الصف أو الزحف:

وهو النظام المعروف منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث كانت المعارك على هيئة صفوف فيرتب المقاتلون على صفوف ويمشون بصفوفهم إلى العدو صفا بعد صفا وأحيانا ينظم المحاربون صفين أو ثلاثة فيتقدمهم حاملوا الرماح ويذكر ابن خلدون[2] أن الحرب كانت في أول الإسلام كله زحفا لسببين الأول لأن أعدائهم كانوا يقاتلون زحفا، وثانيا لأنهم مستميتون في جهادهم، والزحف إلى الاستماتة أقرب، وقد قاتل الرسول (ص) بنظام الصفوف في غزوة بدر الكبرى سنة 2 هـ وغزوة أحد سنة 3 هـ، كما يذكر مسكويه[3] أن الخلفاء الراشدين استعملوا نظام الصفوف كما حصل في موقعة صفين بين علي ابن أبي طالب ومعاوية ابن أبي سفيان كما حارب خالد بن الوليد في اليرموك، وسعد بن أبي وقاص في القادسية بنظام الصفوف ويقسم ابن منكلي[4] ترتيب الصفوف إلى ثلاثة أنواع:

أ- الصف المستوي: وهو الذي يكون فيه الجناحان والقلب في خط مستقيم وهو أوثق الصفوف، وينظم في ست صفوف في كل صف (111) فارسا.

ب- الصف الهلالي: وهو خارج الجناحين وكانوا يضعون في كل طرف من الجناحين الخارجين كردوسا من الخيل المقوية له.

ج- الصف المعطوف: وهو داخل الجناحين وكان العرب لا يتخذونه إلا عند الضرورة حيث يجعلون أهل البأس في الميمنة والميسرة أو يقوون القلب بكردوسين من الخيل وكان يراعى في تنظيم الصفوف أن يكون قصار الرجال قبل أطولهم.

---

1 للمزيد من التفاصيل أنظر الهرثمي الشعراني، المصدر السابق، ص 34 40 42.

2 ابن خلدون، المقدمة، القاهرة (دت)، ص 322.

3 مسكويه: تجارب الأمم، مطبعة بريل، ليدن، 1871، ج1، ص 578.

4 ابن منكلي محمد، الأدلة الرسمية في التعابي الحربية، تح: محمود شيت خطاب، المجمع العلمي العراقي، بغداد 1409هـ 1988، ص 176 180.

ويذكر **روبن ليفي**[1]، أن أحسن تنظيم في الخطوط هو ثلاث مرتبات: الأول ويتألف من المشاة المزودين بدروع جيدة ورماح طويلة وسهام ذات رؤوس حادة، تغرز الرماح في الأرض ورأسها في اتجاه العدو، ويركع الرجال على ركبتهم اليسرى والتروس (الدروع) أمامهم، أما الثاني فيتألف من رجال النبال الأقوياء الذين تستطيع نبالهم اختراق الدروع وخلفهم يأتي الفرسان، وفي هذا الوضع يضربون العدو هم وأصحاب النبال والمشاة بسهامهم الحادة، والآخرون بنبالهم وأقواسهم، وعندما يقترب العدو تستخدم الخناجر ويتفرق هؤلاء يمينا وشمالا ويتقدم الخيالة ليحاربوا، ومن ميزات هذا التنظيم أن الجنود لا يكسر صفوفهم سواء في الهجوم أو الدفاع، وإذا حدث إن تكسرت الصفوف فهم يعيدون تشكيلها بسرعة، وقد تكون التشكيلات عبارة عن مستطيل ثابت، كما أن من معظم خطتهم الحربية استقبال هجوم العدو بهدوء وثبات والانتظام إلى أن تنهك قواه ثم يهجمون.

4- نظام الكراديس:

استعمل هذا النظام في عهد عمر بن الخطاب أثناء الفتوحات بعد أن ازداد عدد الجند وتعددت أسلحتهم، وحاربوا الفرس والروم، حيث استعملوا أسلوبهم وهو أن يقسم الجيش إلى عدة كتل رئيسية تسمى كل منها كردوسا وعلى كل كردوس قائد وحاشية وراية[2]، وبين الكردوس والآخر مساحة مناسبة، واستعمل طريقة الكردوس خالد بن الوليد في معركة اليرموك سنة 13هـ وسعد بن أبي وقاص في معركة القادسية سنة 14هـ والأمويون في عهد مروان بن محمد (ت 132هـ).[3]

وقد اعتمد العباسيون طريقة الكردوس في حروبهم حيث استعمله أبو مسلم الخراساني سنة 137هـ في معركة نصيبين ضد عبد الله بن علي، كذلك استعمل الكرودس سنة 198هـ

---

1 **Reubenlevy. op cit, p 425 434 436.**

2 نعمان ثابت، المرجع السابق، ص **254**، وتعرف كلمة كردوس أنها عن كورتيس الرومانية بمعنى كتلة، أنظر كذلك محمد فرج، المرجع السابق، ص **281**.

3 يذكر الطبري، ج3،ص **396**. أن جيش خالد بن الوليد كان يناهز **40000** مقاتل في **40** كردوسا وجعل كل مجموعة من الكراديس في القلب والجناحين، فلذا يعد خالد بن الوليد أول من استعمل طريقة القتال بالكراديس، كما يذكر ابن خلدون، المقدمة، ص **256** أن أول من استخدم الكردوس مروان بن الحكم في قتاله الضحاك الخارجي.

في الحرب التي دارت بين الأمين والمأمون. فقد استعمل الأمين التعبئة بالصفوف بقيادة سليمان بن عيسى، واستعمل المأمون طريقة التعبئة بالكراديس بقيادة طاهر بن الحسين وانتصر المأمون.[1] ومن الأسباب التي جعلت المسلمين يقاتلون بطريقة الكراديس هي:

أ- إن ازدياد عدد الأجانب في الجيش مما يؤدي إلى عدم معرفة بعضهم بعضا وخاصة أثناء اختلاطهم في الحرب مما يؤدي إلى تدافعهم، لذلك أصبح من الضروري تقسيمهم إلى مجموعات متعارفة لتسهل السيطرة عليهم.

ب- إن المسلمين حينما كانوا يحاربون على طريقة الصفوف كان يرافقهم وراء الصفوف الإبل والأثقال والنساء والأطفال ليحموهم من خطر التفاف العدو على مؤخرة الجيش، ولما تطورت الأمور صعب اصطحاب العوائل واقتصر على الخيام والأثقال المحمولة على ظهور الحيوانات فلم يكن يؤدي هذا بطبيعة الحال إلى الاستماتة في الحرب كما لو كان يرافقهم الأهل والمال.

ج-إن تطور العمليات الحربية التي تتطلب السيطرة على الوحدات المقاتلة وسرعة الحركة والمناورة أدى إلى استعمال نظام الكراديس في تشكيل بربط وحدات صغرى بأخرى كبرى لإعطاء صفة المرونة والحركة لتسهيل مهمة القيادة والسيطرة، كما كان جيش المسلمين يحارب جيش الأعداء بمثل طريقتهم في البداية فإذا حاربوا الروم قاتلوهم بنظام الكراديس وإذا حاربوا الفرس فبنظام الزحف ولكن استمرار محاربتهم الروم أدى إلى تفضيل طريقة الكراديس.[2]

5- نظام الانفتاحات:

أ. أن يرتب الجيش على شكل هلال مرسل أو هلال حاد.[3]

ب. أن يرتب الجيش على شكل الهلال المركب وذلك بوجود هلالين إلى جانب الهلال الأصلي كأنهما جناحان.

ت. أن يكون الترتيب على شكل المربع أو المستطيل.

ث. أن يكون الترتيب على هيئة الهلال المقلوب.

---

1 الطبري، ج8، ص 475 487.

2ابن خلدون، المقدمة، ص 271 272 274.

3 الهلال المرسل (⌒) الهلال الحاد (^)

ج. أن يرتب الجيش على شكل المعين أو المربع المنحرف.

ح. يرتب الجيش على شكل المثلث.

خ. يرتب الجيش على شكل الدائرة المزدوجة داخل أخرى، وكانوا يقومون بهذا الترتيب إذا كان عدد الجيش أقل من جيش العدو، وكثيرا ما يبدلون ترتيب الجيش في المعركة الواحدة.[1]

د- الفرق الداعمة:

يذكر الهرثمي الشعراني أربعة أصناف من المقاتلين هي:

1 الطلائع: وهي جماعة من الفرسان تتقدم لاستطلاع الأخبار وعددها ما بين (3-10) من الجنود ويسمون كذلك الكشافة ويشترط فيهم أن يكونوا من ذوي الخبرة في الحرب ويتولى الطليعة مسؤول يسمى مقدم الطليعة أو صاحب الطليعة وخيولهم من الأنواع الجيدة السريعة الجري. وتوجد شروط يجب الالتزام بها عند الخروج للطليعة هي:

أ. ألا يكون على أحد منهم درع أو ترس ولا شيء يثقل عن أداء الواجب.

ب. على كل واحد منهم أن يضع ما بين (10-20) سهما لاستعمالها عند الحاجة.

ت. يجب عليهم السير في الأراضي المستوية الخالية من الغبار لأن ذلك أقرب إلى رؤية العدو، وإذا تطلب الأمر الصعود إلى مكان عال كجبل يصعد البعض ويبقى الآخرون.

ث. لا يجوز السير إلى أكثر من ثلثي الطريق فيما بينهم وبين العدو وعدم التوغل إلى جبهته وأن يكون سيرهم برفق

ج. مع ملاحظة الكشف يمينا وشمالا.

ح. إذا أظهر العدو هزيمة أمام الطلائع فلا يجوز إتباعه فإنه ربما يكون هناك كمين وخرج إليهم، وإن العدو لا يفعل ذلك إلا عندما يكون قد أعد كمينا.

خ. ينبغي على الذي يأتي بالخبر من الطلائع أن يكون عاقلا صادقا وإذا أتى بالخبر حيث يرى العسكر نازلا أو سائرا خفف من جري فرسه إلى أن يصل إلى المعسكر فيدخله برفق ويخبر صاحب العسكر بما رأى ولا يخبر بذلك غيره.

---

1 نعمان ثابت، المرجع السابق، ص 259 260 (إن ضروب التعبية اقتضت تنظيمها إلى انفتاح الوحدات على بعضها البعض ولذا أطلق عليها نظام الانفتاحات).

د. ينبغي أن يكون بين صاحب العسكر والذي يأتي بالخبر إشارة يفهم بها صاحب العسكر الخبر حين لا يريد إظهاره أمام أصحابه.

ذ. إذا ما أظهر ما يمنع الطلائع الاتصال بالعسكر مثل ظهور العدو ينبغي أن تكون هناك شارات بين الطليعة

وصاحب العسكر يفهم منها خبر الطليعة مثل نزول العدو أو سيره أو كثرته أو قلته، كأن يكون نزوله عن فرسه وسيره إلى جهة ما إشارة إلى سير العدو إلى تلك الجهة ويركض الفرس إشارة إلى إغارة العدو.

استخدمت الطلائع في حروب بابك الخرمي حيث كانت طبيعة الأرض الجبلية تحجب الرؤية وكثرة الوديان العميقة والمسالك الضعيفة التي تتخللها تتطلب إرسال الطلائع للكشف عن مواقع العدو وتقدير قوته أو اقتفاء أثره.[1] وربما استخدمت الطليعة للمشاغلة حيث كان بغا الكبير في حربه بابك الخرمي كلما سار في بعض الجبال والمضائق ظهر له طلائع بابك فخاف أن يكون هؤلاء أرسلوا لمشاغلته ومنعه من السير، إلا أن مرافقه الفضل بن كلبوس قال له: "ليس هؤلاء أصحاب نهار وإنما هم أصحاب ليل، وإنما يتخوف على أصحابنا من الليل"[2]. فوجه القائد بغا الجيش إلى السرعة في المسير قبل حلول الليل.

2 الكمائن: وهم الجند الذين يفاجئون العدو ويلحقون الخسائر به وعددهم كبير بحيث ينتظمون على شكل كراديس غير متباعدة عن بعضها كي يسهل تجمعهم وتستخدم الكمائن للانقضاض على العدو مرة واحدة بصورة مفاجئة[3]، والإغارة على مؤخرة الجيش لإشغاله والاستيلاء على أسلحته وأمتعته، وقد استعمل هذا النظام في حروب الروم حيث الحصون القوية والمعاقل المنيعة.[4]

---

1 الطبري، ج9، ص 26.

2 نفسه.

3 الأنصاري عمر ابن إبراهيم الأوسي، تفريج الكروب في تدبير الحروب، تح جورج سكاتلون، دائرة المعارف، القاهرة 1961، ص 72.

4 الطبري، ج9، ص 58 61. ويذكر العدوي في النظم الإسلامية مقوماتها الفكرية ومؤسساتها التنفيذية في صدر الإسلام والعصر الأموي، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة 1973، ص 341، أن عمرو بن العاص استعمل نظام الاستطلاع في فتح مصر.

3 **الربايا**: وهم جند الحراسة حول المعسكر لتأمين الحماية في النهار وفي الليل يرجعون إلى المعسكر ويستعاض في الربايا (بالدراجة) وهم جماعة من الفرسان تتولى حراسة المعسكر ليلا، وتتوزع على أطرافه كل جماعة على حدى غير بعيدين عن حدود المعسكر ويرفعون أصواتهم بالتهليل والتكبير.

4- **المسالح**: وهم من الجند المسلمين واجبهم حفظ الطرق المهمة ومداخل المدينة في الليل والنهار في الحصون الواقعة على الطرق المهمة، وتكون المسالح في الغالب بعيدة عن مقرات الجيش، بينما يشترط في الربايا أن تكون على المرتفعات المحيطة بالمعسكر، حيث كانوا يقومون بتأمين الأسلحة والتجهيزات الكافية للمسالح، ويذكر الطبري (ج9،ص 11) "أن الخليفة المعتصم في محاربته بابك الخرمي أمر سعيد بن محمد بن يوسف القائد أن يبني الحصون التي خربها بابك فيما بين أذربيجان وأردبيل وفيها المسلحة."

هـ- الداعمون المعنويون:

1- **الفعلة (المهندسون)**: وكانوا يسمون (الكلفرية)[1] وهم الذين يحفرون الخنادق ويعقدون الجسور على الأنهار ويبنون المعسكرات على رؤوس الجبال ويزيحون الثلوج عن الطرق ويعدلونها لتجتازها الخيالة والدبابات وينصبون الأسلاك الشائكة من النبات والشوك، وكان صاحب الكلفرية أو رئيس الفعلة على اتصال دائم بقادة الجيش لاستلام الأوامر لتنفيذها. وقد قام الفعلة بدور مهم في حروب بابك الخرمي حيث قاموا بالتحصينات وفتح الطرق وغلق المسالك وسد الآبار التي يحفرها الخرمية لعرقلة خيول الفرسان وفي إحدى المعارك تعثرت الخيول وتساقط الفرسان بسبب الآبار التي حفرها الخرمية فأمر الأفشين الفعلة بردم المنازل واستعمال حجارتها لسد الآبار وكان الفعلة يصعدون إلى رؤوس الجبال مع الجند ليكونوا على استعداد لخدمتهم ولكن الجنود هم الذين يحملون حاجاتهم في الرحلات البعيدة.

2- **الكوهبانية**[2]: وهم المسؤولون عن نقل الأخبار الأمنية بين قطعات الجيش وإعطاء الإشارات إلى الوحدات العسكرية بما يحصل عند العدو، وقد ذكروا في حروب بابك

---

1 كلمة تركية بمعنى رجال يستخدمون في الجيش (الهندسة المعمارية).

2 كوه بد: كلمة تركية ومعناها يجلب الأخبار ويستخدم في الجيش (الإشارة).

الخرمي وفي موقعة خمورية[1]، حيث اعتمد عليهم الإفشين في حروبه، وكان الكوهبانية يستعملون الأعلام حيث يقفون على مشارف الطرق وعلى المرتفعات ويقومون بتحريك الأعلام حينما يرون حركة غير اعتيادية بطريقة متفق عليها، فيفهم قائد الفرقة المقصود، كما كان الجيش يستعملهم كأدلاء يرافقون الفرق ليدلوها على الطريق ويحرسونها ليلا، وتتكون الكوهبانية من الجنود الرجالة[2]، وكانوا يلبسون ملابس خاصة لتمييزهم عن باقي الجند.

3- الأطباء: كان يرافق الجيش العباسي فريق من الأطباء والممرضين مزودين بالأدوية ونقالات للجرحى وكذلك البياطرة والمضمدون، وكانت المستشفيات المتنقلة عبارة عن خيم ونقالات للجرحى ومعدات طبية تحمل على البغال في الأراضي الجبلية أما في الأراضي السهلية فتحمل على الإبل. واهتم الإفشين في محاربته بابك بحمل الماء والطعام والأدوات الطبية على البغال وكان يشرف بنفسه على تأمين الطعام للجند، وفي إحدى المعارك أمر الإفشين صاحب الشراب أن يتوسط المقاتلين لئلا يعطش الجند ويضطرون إلى ترك أماكنهم لشرب الماء.[3] وقد كانت المواصلات بين الجيوش ومقر الخلافة العباسية في بغداد مستمرة رغم المسافة، لاهتمامهم بأمر المخابرة وطرق البريد، كما كانت الحراسة الليلية مستمرة طيلة أيام الحرب[4]، فقد شق العباسيون الطرق العسكرية ما بين العواصم والثغور وشيدوا الجسور على ما يتعرض تلك الطرق من الأنهار والجداول مما سهل الاتصال بين المدن وساعد على إمداد الثغور بالنجدات، وقسمت الطرق العسكرية وخاصة الصحراوية إلى محطات أو سكك ليستريح فيها الجيش ويتزود بالماء، كما كان في صحراء شرقي فارس بين كل فرسخين أو ثلاث فراسخ قباب وخزانات يتجمع فيها ماء المطر، وكما أقيمت في بعض الطرق عمد من خشب مثبتة في الأرض ليهتدي بواسطتها المسافرون أثناء المطر والضباب، وأقاموا المعابر على

---

1 الطبري، ج9، ص 24 46

4نفسه، ج9، ص 39.

5جهادية القره غولي: العقلية العربية في التنظيمات الإدارية والعسكرية في العراق والشام خلال العصر العباسي الأول 132 232هـ، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، بغداد 1986، ص 177.

6 أدم ميتز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، تر عبد الهادي أبو ريدة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط3، القاهرة 1377هـ 1957م، ج2، ص 400.

الجداول والأنهار التي كانت عند نهر الخابور حيث يشد الملاح وهو على ظهر المركب حبلا مثبتا على الشاطئ الآخر حتى يصل إليه.

وفي حرب بابك الخرمي أمر المعتصم بإعادة إصلاح الطرق المؤدية إلى أرمينية وأذربيجان وترميم جميع الحصون والقلاع الواقعة على هذه الطرق التي ضربها بابك[1]، كما أمر المعتصم بتعبيد درب بغراس وهو المضيق الجبلي الخطير الذي يخترق جبال طوروس وسوّره من الجانبين لإجتياز الجيش في الحرب.[2] ولما كانت الحدود الإسلامية في المشرق واسعة ومكشوفة أقاموا مراكز عسكرية تدعى المسالح[3] وذلك لحفظ الطرق من تسلل الأعداء وعبث اللصوص وقطاع الطرق، كما تمنح الأمان والحماية لصفوف الجيش أثناء تقدمها وتكون عيونا ترصد تحركات جيوش الأعداء وتجمع المعلومات الكافية عنها. وقد اعتنى العباسيون بالبريد الحربي حيث نظم تنظيما دقيقا حتى كان عند كل فرسخ منها حصن يضم عددا من الدواب والراكبين ضمانا لسرعة إيصال الأخبار والرسائل.[4] وحينما غلب الزط على البطائح بين واسط والبصرة وانقطع عن بغداد ما كان يصل إليها من مدينة البصرة رتب المعتصم بين البطائح وبغداد خيلا تركض إليه بالأخبار، فكان الخبر يخرج عن عجيف القائد فيصل إلى المعتصم في يومه[5]. وحينما تصبح الظروف بحاجة إلى سرعة إيصال أخبارها وطلب نجدتها يزداد عدد دواب البريد حتى يصل أربعين أو خمسين دابة.[6] كما استعملت المخابرة بالحمام الزاجل ويذكر القلقشندي[7]، أنه في سنة 166هـ أقام المهدي البريد في المدينة ومن اليمن إلى مكة بغالا وإبلا، واعتنى بالحمام الزاجل لإيصال الرسائل، وازداد ثمن الطيور حتى بلغ ثمن

---

1 نعمان ثابت، المرجع السابق، ص 43.

2 البلاذري، فتوح البلدان، دار النهضة المصرية، القاهرة 1956، ج1، 194.

3 جيهادية القره غولي، المرجع السابق، ص 177.

4 فتحي عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة 1966، ج2، ص 305.

5 البلاذري، ج2، ص 369.

6 فتحي عثمان، المرجع السابق، ج2، ص 305.

7 القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب المصرية، ط2، القاهرة 1927، ج1، ص 305.

الطائر الذي يجلب من خليج القسطنطينية إلى ألف دينار، وفي سنة 221هـ أطلقت الطيور إلى المعتصم وفيها أنباء الانتصار على بابك الخرمي.[1]

وكانت سفن البريد تنقل الأخبار في الأنهار والمجاري المائية حتى أن في بعض الأحيان توضع الرسائل في قصبة وتربط بحزمة من الحشيش وترمى في النهر وتجري باتجاه المرسل إليه إذا كان على طريق المجرى المائي.[2]

كما استخدمت النار في الإشارة وخاصة في الجهات التي كانت تابعة للدولة البيزنطية، حيث كان الروم يستعملونها وكانت طريقة نقل الأخبار هي إشعال النار على الأبراج العالية على المرتفعات فينقل الخبر من برج إلى آخر حتى يصل المكان المطلوب.[3] لقد اهتم العباسيون بالعيون والجواسيس لكشف أسرار أعدائهم مستخدمين الرجال والنساء والغلمان حيث كانوا يسافرون متنكرين على هيئة تجار أو أطباء أو طلبة علم أو غلمان وجواري لكي يندسون في جميع الأوساط ويقول ابن الطقطقي[4] "ما اعتنت دولة بتحصين الأسرار والمبالغة في حفظها كالدولة العباسية فإن لها في هذا الباب عجائب". وكان انتخابهم للجواسيس يعتمد على الصفات التي يجب توفرها لمهمة الجوسسة مثل أن يكون ممن يوثق به بصدقه وإخلاصه وأن يكون له فراسة وإدراك صائب، وأن يكون كثير الدهاء والحيل والخديعة وأن يكون كتوما للسر، كما أن تكون له خبرة ومعرفة بالأسفار والطرق وعارفا لعدة لغات، وصبورا على العقوبة والتعذيب إذا ظفر به العدو.[5]

ويصف **فون كريمر**[6] الجيش العباسي وهويتأهب للحرب بقوله: "إن الجيش يثير شعورا قويا حين يجتاز بلاد الأعداء حيث تسير في المقدمة قوة من الفرسان الخفيفة بدروعها الحديدية البراقة وبيضاتها[7] الحديدية المتلألئة مع رماحهم الطويلة التي تزين رؤوسهم بريشة

---

1 جهادية القره غولي، المرجع السابق، ص 178.

2 فتحي عثمان، المرجع السابق، ح2، ص 305.

3 جرجي زيدان، التمدن الإسلامي، دار الهلال، القاهرة 1927، ج1، ص 242 243.

4 ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، دار صادر، بيروت 1960، ص 61.

5 الأنصاري، المصدر السابق، ص 17 18.

6 VenKremer, the orient under the caliphs, London, pp 223 224.

7 البيضة: الخوذة.

مرتفع من ريش النعام. وكان يصاحب مقدمة الرماة بلوائهم الأصحم[1] وبنيتهم القوية ويركضون بخيث يلاحقون الفرسان، وكان يحمي الجناحين من هجوم المفاجئ فرق خفيفة، وكان يسير في الوسط المشاة مسلحين بالمزاريق[2] والسيوف والدروع ويسير في صحبتهم آلاف الإبل تحمل المؤونة والخيام وتتبعهم خلفهم الإسعافات ونقالات الجرحى وآلات الحرب محملة على الإبل كذلك. وإذا كان الأمير على رأس الجيش كان حرسه بملابسهم المرشاة بالذهب، وكان في الاستطاعة تمييز الحرس الفارسي بقلانسهم السوداء العالية من جلد الماعز، وحرص القصر من الأتراك بعمائمهم الشبيهة بالثلج في بياضها، ويرى اسم الحاكم على الألوية والأعلام مطرزا بالذهب، وكان قرع الطبول علامة بالمسير وبانتهائه تقف الصفوف". ومن أشهر المعارك التي تجلت فيها التعبئة المنظمة:

1–معركة نصيبين سنة 137هـ: بين عبد الله بن علي الذي رفض مبايعة المنصور وبين أبي مسلم الخراساني قائد الجيش العباسي والتي دامت 6 شهور، وكان جيش عبد الله بن علي من أهل الشام أكثرهم فرسانا وأكمل عدة من جيش أبي مسلم ولكن أبا مسلم انتصر عليهم بسبب اتخاذه المراكز المحصنة وتعبئته الجيدة واستعماله نظام الكراديس ودهائه الحربي خلال قيادته المعركة.[3]

2– المعركة التي قادها الأفشين ضد بابك الخرمي في عهد المعتصم، وانتصر عليه بفضل تنظيم الجيش وتأمين مواصلاته وبريده، وتموينه في المناطق الجبلية البعيدة، ويذكر الطبري[4] "أنه لما خرج جعفر بن دينار أحد قادة الجيوش التي كان يقودها الأفشين في محاربته بابك عن الخطة الموضوعة للحرب وأصيب الجيش بخسائر قال الأفشين قد أفسد علي تعبئتي وما أريد."

3–معركة عمورية سنة 223 هـ: والتي قادها المعتصم ضد الروم، وانتصاره كان سببا في إعادة التعبئة والإلمام باستخدام الأسلحة والأساليب المتبعة في فتح الحصون والقلاع.

---

1 الأصحم: شديد الخضرة.

2 المزاريق جمع مزرق وهو الرمح القصير.

3 نعمان ثابت، المرجع السابق، ص 265.

4 الطبري، ج9، ص 36 37

والمسعودي يذكر عدد جيش المعتصم فيقول: "المكثر يقول خمسمائة ألف جندي والمقل يقول مائتي ألف جندي"[1]. وكانت خطته تتضمن المسير إلى عمورية عن طريقين:

- الطريق الساحلي إلى طرسوس ومرسين ومنها إلى قونية ثم إلى أنقرة ومنها إلى عمورية وهي طريق صالحة للتحركات العسكرية.
- والطريق الثاني الداخلي المعروف بدرب الحدث، وهو يمر بالحصون والمعاقل الرومية حتى أنقرة ومنها إلى عمورية.

ولما كان المعتصم حريصا على أن لا تشتبك قواته كلها مع العدو على انفراد وضع خطته الحربية على مرحلتين: المرحلة الأولى جعل على المقدمة أشناس، وعلى الميمنة إيتاخ، وعلى الميسرة جعفر بن دينار وجعل عجيف بن عنبسة على القلب وأرسل الأفشين في جيش عن طريق سروج إلى أنقرة حيث جعلها مركزا لتحشيد قواته وفي ذلك يقول الطبري[2] "وأمضى المعتصم الأفشين إلى سروج وأمره بالدخول من درب الحدث وسمى له يوما يكون دخوله فيه ويوما يكون اجتماعهم فيه، وسير أشناس من درب طرسوس وأمره بانتظاره في الصفصاف، وقدم المعتصم وصيف في أثر أشناس" وبعد اجتماع الجيوش في أنقرة بدأت المرحلة الثانية؛ فقسم الجيش إلى ثلاثة أقسام، جيش أشناس في الميسرة، وجيش الأفشين في الميمنة، وجيشه في القلب، وجعل بين كل جيشين وآخر فرسخين وأمر أن يكون كل جيش مسؤولا عن حماية نفسه، وأمن الاتصال بين الجيوش الثلاثة، ولما تحصن أهل عمورية أمر المعتصم بضربها بالمجانيق الكبيرة فهدم أسوارها ودخل المدينة بعد أن دام الحصار خمسة وخمسين يوما.[3] وكان المعتصم يتبع أهم أنواع التعبئة في المناطق الجبلية وهي لحماية المضايق بحراسة شديدة حين يجتاز الجيش تلك المضايق، ولما شرع المعتصم في العودة إلى العراق أقام أشناس في باب مضايق (البندقون)[4] ثلاثة أيام يحمي عسكر الخليفة. وكانت تتجلى التعبئة المنظمة في نظام

---

1 المسعودي، مروج الذهب، ج4، ص 6.

2 الطبري، ج9، ص 57 58.

3 ابن الطقطقي، المصدر السابق، ص 186 187.

4 البندرون: وتسمى كذلك ابندون وهي قرية بينها وبين طرسوس يوم واحد مات بها المأمون ودفن بطرسوس. ياقوت الحموي، معجم البلدان، تح ماست فيلد. ليبزك 1866، ج1، ص 53.

الصوافي والشواتي، حيث كان المسلمون يغدون على بلاد الروم مرتين تقريبا في السنة: حيث تبدأ الصوافي في منتصف شهر ماي عندما تكون الخيول قد سمنت من رعيها لكلأ الربيع ومراعيه ويستمر الغزو ثلاثين يوما، وفي هذه الغارات تجد الخيول غذاء في مراعي الروم التي تمر بها، وكانوا في بعض السنين يغزون صائفتين، الصائفة اليمنى والصائفة اليسرى، أما غارات الشتاء فتكون في حالات الضرورة، ولا يمعنون التوغل داخل أراضي الروم ولا تستغرق أكثر من عشرين يوما، وكانت تقع غزوات الشواتي ما بين أواخر فبراير والنصف الأول من مارس[1] ولم تكن للشواتي والصوافي أهمية كبرى حيث ظلت تخوم الدولتين على حالها بعدها.

3-الفداء وتبادل الأسرى:

كان تبادل الأسرى يجري بعد انتهاء المعارك بين المسلمين والروم، وكان الفداء في عهد الأمويين يكون على سواحل الشام ومصر ويفتدي النفر بالنفر وأول من افتدى الأسرى المسلمين بالمال هو الرشيد في سنة 181هـ.[2] وقد وضع أسلوب خاص لمعاملة الأسرى وإطلاق سراحهم وأنشئت أماكن خاصة لإيوائهم، وكانت معسكرات الأسرى تقسم إلى قسمين إحداهما خاص بكبار رجال الجيش والآخر لعامة الجيش، وكان يسبق الفداء إيفاد سفراء بين الطرفين يشترك فيها عمال الثغور لتقرير أسس الفداء، وإذا ما نجحت المفاوضات استعد الطرفان للفداء. وكان يقع الفداء على نهر اللامس في سواحل بحر الروم قريبا من طرسوس لاعتباره حدا طبيعيا بين الدولتين حيث يتجمع المسلمون والروم كلا منهما على ضفة النهر مما يعطي مجالا للسيطرة على عملية الفداء ويمنع الاحتكاك والتصادم بين الجيشين، وكلما أطلق الروم أسيرا مسلما أطلق المسلمون أسيرا روميا معادلا له من حيث المكانة والسن وسلامة البدن، وكلما وصل المسلمون أسيرا كبّر وكبّروا وإذا بقي فائضا من الأسرى افتدوا بالمال.[3] وقد يعقد كل منهما جسرا خاصا به ويرسل المسلمون أسيرهم على جسرهم ويرسل الروم أسيرهم على جسرهم حماية لتأمين الفداء[4]، كما كانت توقد المنارات في الرباطات في الليل ويتم نفير كل من في القصبة ويخرج الناس بالسلاح

---

1 إبراهيم العدوي: الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم، ص 97 102.

2 جرجي زيدان: التمدن الإسلامي، ج6، ص 196.

3 الطبري، ج9، ص 142.

4 اليعقوبي، تاريخه، بريل، ليدن 1882، ج2، ص 482.

حينما يكون للفداء.[1] ويذكر ابن الأثير[2] الفداء الأول الذي حصل في عهد الرشيد والذي تولى الفداء القاسم بن الرشيد سنة 163هـ وكان عدد الأسرى المسلمين 3700 أسير وقد شهد الفداء نحو 500000 مسلم بأحسن ما يكون من العدة والسلاح. والفداء الثاني الذي حصل في عهد الرشيد كان سنة 192هـ، والذي تولى الفداء ثابت بن مالك الخزاعي وكان عدد أسرى المسلمين 2500 أسير. والفداء الثالث حصل في عهد الواثق سنة 231هـ والذي تولى الفداء خاقان الخادم المعروف بأبي رملة وجعفر بن أحمد الحذاء وأحمد بن سعيد بن مسلم الباهلي، وكان أسرى المسلمين حوالي 500 رجل و700 امرأة وأرجع خاقان للروم مائة (100) أسير كانوا زيادة لديه على العدد للتبادل[3]، بينما ذكر الطبري[4] "أن عدد أسرى المسلمين قبل هذا الفداء كانوا ثلاثة آلاف رجل وخمسمائة امرأة وصبي في القسطنطينية وحدها عدا من أحضر الروم للفداء، فلما تم الفداء كان المجموع أربعة آلاف وأربعمائة وستون منهم ثمانمائة من النساء والصبيان، ومن أهل الذمة مائة رجل، قال واستفرغ خاقان جميع من كان في بلد الروم من المسلمين.

4-المعدات الحربية والتحصينات العسكرية:

1- المعدات الحربية: لقد برع المسلمون في استخدام الأسلحة وصيانتها وتطورها، وقد أفادهم اختلاطهم بالشعوب الأجنبية ومحاربتهم للدول المجاورة من ابتكار أنواع جديدة من الأسلحة، وقد جرت العادة على تقسيم الأسلحة إلى هجومية ودفاعية إلا أنها في العصر العباسي استخدمت للغرضين معا ويمكن دراستها على النحو التالي:

أ-السيف: ويمثل القوة الضاربة في الهجوم وهو أنواع كثيرة بحسب مادة ومكان صنعه، ثم الرمح ومنها المزاريق وهو الرمح القصير في رأسه سنا من فولاذ حاد طوله نحو ثلاثة أذرع وكان خاصا بالمشاة، أما الفرسان فكانوا يستعملون الرماح الطويلة، وكان الترك

---

1 محمد كرد علي، خطط الشام، المطبعة الحديثة، دمشق 1925، ج5، ص 40 41.

2 ابن الأثير، الكامل، ج5، ص 105 128.

3 ابن العبري، مختصر تاريخ الدول، تصحيح الأب أنطون صالحاني اليسوعي، دار الرائد اللبناني، بيروت 1403هـ 1985م، ص 244، اليعقوبي، ج2، ص 482.

4 الطبري، ج 9، ص 143.

يستعملون الرماح القصيرة وتسمى المطرد وهي أشد بأسا من الرماح الطويلة التي كان يستعملها العرب والفرس.

ب- القوس: وهو الأحنية التي يضرب به السهم، وكان للعرب قدرة على استخدام القوس بكفاءة ومقدرة لما كانوا يتميزون به من حدة البصر واستعماله في الحرب والسلم، والأقواس أنواع كذلك: وتستعمل الأقواس لإطلاق السهم، وكانت السهام تستعمل كأداة لتخاطب ففي محاصرة الحصون كان المحاصر يرمي الإنذار بالقوس والسهم، ولأهمية القوس في القتال كانت تؤلف لها فرقة تسمى النبالة أو النشابة تحمل الأقواس وتحافظ عليها في المعركة، وكان الرماة الخيالة تصيب الهدف بالسهام وهم الذين يبدأون المعركة في الهجوم أو الدفاع وذلك لإيقاع الخسائر وإحلال الذعر قبل الهجوم، وهناك الجنود الرماة على الزوارق والسفن الحربية: أما الترس فيستخدمه الجندي لوقاية نفسه من ضربات السيوف والرماح والسهام وهو على أنواع منها: الترس المسطح ويتقي به الرمح، والترس المستطيل ويتقي به النشاب والترس المقبب المنحني الأطراف من الخارج ويتقي به السيف.

ج-الدروع: وهي ثوب ينسج من حلقات حديدية متداخلة بعضها في بعض تدعى (الزرد) ويلبس على القسم الأعلى من الجسم وله أكمام قصيرة تصل إلى منتصف الذراع ويلبس تحت الدروع ثوب من النسيج المبطن تحمي الجسم من حلقات الحديد، وقد يكون للدرع سواعد من حديد. والدرع يتألف من الجوشن وهو الذي يقي الصدر والبيضة (الخوذة) وهي قطعة واحدة من المعدن، والمغفر وهو نوع من الدروع المصنوع من الزرد وتوجد أجزاء تحمي الساعدين والساقين والكتفين.

د-المنجنيق: ويتألف من عمود طويل قوي موضوع على عربة ذات عجلتين في رأسها حلقة أو بكرة يمر بها حبل متين طويل في طرفه الأعلى شبكة على هيئة كيس توضع فيه الحجارة أو براميل فيها مواد نارية مشتعلة ثم يحرك ويرفع العمود على عربته بواسطة دواليب وحبال فيدفع من الشبكة ما وضع فيها من قذائف، واستعملوا طريقة لحفظ البراميل وهي أن يرفعوا المنجنيقات ذات أبراج يقف فيها الرماة، والمنجنيق هو من الأسلحة التي تستعمل في الهجوم والدفاع وأخذها المسلمون عن الروم والفرس كذلك.

هـ-الدبابة: وهي آلة تتخذ من خشب الساج وتغشى بالجلود أو الجلود المقنعة في الخل لدفع النار، وهي من أسلحة الهجوم، وتركب على عجلة مستديرة وتحرك فتسمى الدبابة وقد يدفعها الرجال فتوضع على البكر، وهي تشبه القلعة سائرة العجل، وفيها عدة أدوار يوضع في كل دور عدد من الجنود، ويزود الذين في الدور الأسفل بالرماح والأسنة بينما يحمل الآخرون في الدور الثاني الأقواس والنبال لحماية رجالهم ولرمي العدو، وقد استخدم المعتصم في حصار عمورية دبابات كبيرة تحمل الواحدة عشرة رجال، أما الكبش ويستعمل لهدم الأبراج وهي تتألف من خشب وحديد يجرونها بنوع من الحبال فتدق الحائط فينهدم وفي بعض الحالات كان يركب في الجزء السفلي من الدبابات الكبيرة ذات البرج وقد ظهر الكبش خلال القرن 2هـ للعمل مع الدبابة في هدم الأسوار وفتح أبواب الحصون.

كان الخلفاء العباسيون يهتمون بخزن السلاح بكميات كبيرة، فيذكر ابن الزبير[1] "أنه كان لدى أبي العباس أول الخلفاء العباسيون في خزائن السلاح خمسين ألف درع، وخمسين ألف سيف، وثلاثين ألف جوشن، ومائتا ألف رمح" ويذكر ابن دقماق[2] "أنه كان لدى المأمون ألف راية مكللة بالدر تحت كل راية ألف فارس وفي اصطبله ألف فيل" كما يذكر "أن المعتصم خلف ثمانين ألف فرس ومثلها من الجمال والبغال ومن المماليك."

وبالرغم من أن أعداد السلاح والحيوانات التي اختزنها الخلفاء العباسيون تبدو كبيرة، إلا أنها تتناسب وحاجة الجيش العباسي لازدياد عدده وضخامة مسؤولياته الحربية.

2- التحصينات العسكرية:

كان العرب منذ بدء فتوحاتهم يتخذون لهم معسكرات في المدن المفتوحة كما كانوا ينشؤون معسكرات في طريق فتوحاتهم ثم تصبح فيما بعد مدنا عسكرية، ومن المراكز العسكرية التي أنشئت في عهد الراشدين البصرة والكوفة في العراق والفسطاط في مصر والقيروان في إفريقية. وقد زاد الأمويون في المدن العسكرية وأهمها واسط في العراق وشيراز في فارس والمنصورة في السند، ومرج في بلاد ما وراء النهر، بالإضافة إلى المراكز العسكرية في بلاد الشام وخاصة في الثغور. وفي عهد العباسيين أنشأ المنصور بغداد سنة 145هـ لتكون عاصمة

---

1 ابن الزبير، الذخائر والتحف، تح محمد حميد الله، الكويت 1959، ص 213 214.

2 نقلا عن: جهادية القره غولي، المرجع السابق، ص 191 192.

لدولته على أسس حربية وعسكرية وسياسية وقد استطاعت فعلا كبح جماح سكانها الرافضين وعرفوها، كما أقام المنصور الثكنات في الجانب الشرقي من بغداد سنة 151هـ وسميت بعسكر المهدي، وفي سنة 155هـ بنى المهدي قلعة حصينة قرب الرقعة سميت الرقيقة أو الرافقة؛ كما أنشأ المعتصم سامراء سنة 221هـ عاصمة له ومعسكر لجنده الأتراك الذي بلغ عددهم 70 ألف جندي.

كان على حدود الدولة الإسلامية برا وبحرا مدن محصنة مشحونة بالجند للدفاع عنها وتسمى الثغور، فكانت ثغور المشرق تضم بلاد ما وراء النهر وجورجيا وأرمينية، وثغور المغرب وكانت القيروان المعقل الرئيسي الذي يشرف على حدود الدول التي استقلت عن الخلافة العباسية كالأدارسة والأمويين في الأندلس، والثغور الجنوبية وتضم ثغور النوبة، أما الثغور الشامية فتقع على حدود الدولة البيزنطية.[1]

اهتم الخلفاء العباسيون الأوائل بالتحصينات العسكرية مثل المنصور والمهدي، ولكن الرشيد كان أكثر اهتماما بها فقد فصل ثغور الشام وهي الواقعة في الشمال الغربي من العراق، وثغور الجزيرة وهي التي بالشمال الشرقي وسميت بثغور الجزيرة لوقوعها بشمال الجزيرة في العراق، وضم الرشيد هذه الثغور لبعضها في ولاية واحدة سماها العواصم وعاصمتها منبج وولاها ابنه المعتصم.[2] ولقد شحنت الدولة العباسية المناطق الثغرية بالسكان من مختلف النواحي حيث كانوا يمثلون كل شعوب المشرق والمغرب الإسلامي، وقد قسم الجند المرابطون بالثغور إلى عدة أصناف:

1- الفروض: وهم الجند المثبتون في الديوان ويفرض لهم العطاء.

2- الندبة: وهم طائفة مميزة يختارون لميزة خاصة بهم.

3- البعوث: وهم عدد من الجند يعهد إليهم الخروج إلى الثغور إما بصور دورية في وقت معين فيقيمون أول الصيف ثم يعودون إلى قواعدهم الأولى ويكون عددهم حسب الحاجة.

4- المتطوعة: وهم مستعدون للمساهمة في الحملات الشتوية ضد البيزنطيين وفي جميع مراكز الدفاع عن أطراف البلاد الإسلامية.

---

1 جهادية القوه غولي، المرجع السابق، ص 194.

2 البلاذري، فتوح البلدان، ج1، ص 150.

لقد احتفظ الخلفاء العباسيون بالثغور والمقاتلين فيها، والذين أجزلوا لهم العطاء بالإضافة إلى رواتبهم المقررة، فقد كان دخل الثغور الجزرية 70 ألف دينار يصرف منها في مصالحها 40 ألف دينار، وأما الثغور الشامية فكان دخلها 100 ألف دينار يصرف كله لمصالحها، بالإضافة إلى رواتب الجند التي تقدمها بيت المال.[1]

6-ديوان الجيش ومرتبات الجند:

سار ديوان الجند من بداية العصر العباسي حتى عهد المعتصم على نفس الأسس التي وضعها الخليفة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- سنة 15هـ حيث فرض العطاء للمسلمين[2]، وكان يسمى آنذاك (الديوان) وكان هذا الديوان فيما يذكر ابن خلدون[3]، يقوم على أعمال الجبايات وحفظ حقوق الدولة في الدخل والخرج وإحصاء العساكر بأسمائهم وتقدير أرزاقهم وصرف أعطياتهم في إبانها والرجوع في ذلك إلى القوانين يرتبها في تلك الأعمال. "وقد اشتهر هذا الديوان باسم ديوان الجند لأن أهم سجلاته كانت تحتوي على أسماء المقاتلين وعطائهم، ونظم عمر العلاقة بين ديوان الجند المركزي في الحجاز وبين فروعه في الولايات الأخرى، ومنها ديوان الجند في العراق، وبعد انتقال الحكم للأمويين في الشام أصبح ديوان الجند المركزي فيها، كما أصبح ديوان الجند في العراق فرعا من فروعه المحلية حتى العصر العباسي الذي أصبح فيه ديوان الجند المركزي في العراق". وكان لديوان الجيش مجلسين هما:

أ- مجلس التقدير: وهو ينظر في تقدير رواتب الجند وأوقات إعطائها لهم.

ب- مجلس المقابلة: ويختص بالإشراف على سجلات الجنود وشروط قبولهم. وفيها اسم الجندي وأبيه وسنه ولونه وملامحه وما يتميز به لئلا تتكرر الأسماء ويذكر الصابي[4] مجلسا ثالثا يسمى مجلس الإعطاء ويشرف على عملية توزيع الأرزاق التي يقدرها مجلس

---

1 نعمان ثابت، المرجع السابق: ص 67 68.

2 ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، ص 83 84.

3 ابن خلدون: المقدمة، ص 230.

4 الصابي، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تح عبد الستار أحمد فراج، دار إحياء الكتب العربي، القاهرة 1958، ص 117.

[illegible] مجلسا رابعا يسمى الاسكدار ويقوم بتنظيم وتصنيف الكتب التي تصدر عن صاحب ديوان الجيش أو التي تصل إليه. وهناك دواوين ملحقة بديوان الجيش منها:

1- ديوان الخزانة: وهي بيوت تتخذ حفظ الأموال والقماش تسجل في دفاتر خاصة وتوكل إلى حراس أمناء وموظفين من أشد الناس تقوى.

2- ديوان الأهراء: وتخزن فيه الغلال ويشرف عليه العدول من الناس.

3-ديوان خزائن السلاح: ويحفظ فيه الأسلحة والذخائر ويجب أن يكون المسؤول محتسب البلد لأنه يعرف أمور الاستعمالات وأسعار الآلات.وشروط القبول للجندية كما يذكرها الماوردي[1] هي:

أ- البلوغ: وهو عام للرجال والنساء، إلا أنه في العصر العباسي استعمل للرجال فقط.

ب- الإسلام: أما أهل الذمة فقد كانوا يدفعون الجزية وهي تقتصر على الرجال دون النساء والأطفال جزاء حمايتهم من خطر الحرب. كما لا تؤخذ الجزية من غير القادرين؛ وعلى أهل الذمة إيواء الجند ثلاثة أيام وإطعامهم حين الحاجة.

ج- سلامة الجسم من الأمراض والعجز.

د-الحرية: وفيها اختلاف إلا أن العبيد أو الغلمان أو الموالي لم يكن لهم عطاء ولا يأخذون الغنيمة بل يعطونهم أجرا وكان شرط التفرغ للجندية واجبا على طالب الجندية.

كان يشرف على ديوان الجيش كاتبا يسمى صاحب ديوان الجيش، أو صاحب الجند، ويشترط فيه الإلمام بأحوال الجيش وطرق استعراضه، وصفات الرتب وعلاماتها وأنواع الدروب والسلاح، ويشرف كذلك على الجرائد التي تتضمن قوائم الجيش، ويساعد صاحب الديوان مشرف على صرف المرتبات يسمى المعطي كما يوجد بالديوان مشرف على مخازن السلاح ودور صناعتها. وكان أهم تطور في تنظيم ديوان الجيش في زمن العباسيين هو التحول على تسجيل الجند في الديوان على أساس القبائل والأنساب كما كان في العهد الراشدي

---

1 الخوارزمي، مفاتيح العلوم،مطبعة الشرق، القاهرة 1342هـ، ص 38.

[illegible] 187-179

[illegible] والتسجيل [illegible] بالعجم ينسبهم أو على اسم [illegible]
كالخراسانية والفراعنة والمغاربة، وعلى عهد المعتصم أصبح ترتيب الجيش حسب فرق الجند.[1]

أ–**قواعد ديوان الجند:**

1– إذا مات الجندي صرفت مستحقاته على أهله.

2– إذا مرض صرف له مرتبه.

3– لا يجوز إسقاط بعض الجند من الديوان إلا إذا أظهر منهم ما يوجب ذلك.

4– إذا أراد أحد الجند إسقاط نفسه من الديوان والانقطاع عن الخدمة فلا يجوز له ذلك مادام هناك حاجة إليه.

5– إذا جردت طائفة من الجند للقاء العدو وامتنعت عن ذلك بسبب عدم التكافؤ العددي فلا يجوز إسقاطهم من الديوان إلا إذا كانوا أكفاء للعدو.

6– إذا تلف سلاح الجندي أو ماتت دابته عوض عنها.

ب–العطاء والأرزاق: المقصود بالعطاء أو الرزق هو مقدار المال الذي يأخذه كل واحد من الجند في مدة معينة لقاء خدمته في الجيش، وهناك من فرق بين العطاء باعتباره نقودا والرزق باعتباره حبوبا.[2] كانت الرواتب تعطى للجنود بحسب كفاءتهم وقدرتهم على القتال، وبعض إعتبارات خاصة يحضرها صاحب الديوان، كما يراعى أن يكون مرتب الجندي كافيا يتناسب ومرتبته العسكرية، والمكان الذي يرابط فيه من ناحية غلاء أسعار البلد وتبعيته لفرق الفرسان، أو المشاة إذ كان لكلفرقة رواتبها الخاصة. كانت رواتب الجند في العهد الراشدي 300 درهم سنويا، ثم أصبحت 60 درهم في الشهر، وفي العهد الأموي كان لمعاوية 60000 جندي يصرف عليهم ستين مليون درهم سنويا، وكان متوسط راتب الجندي ألف درهم سنويا. وبداية العصر العباسي جعل السفاح راتب الجندي 960 درهما في السنة، وكان للفارس ضعف هذا الراتب لينفق منه على فرسه، وانخفضت الرواتب في عهد المأمون إلى عشرين درهما شهريا للراجل وأربعين درهما للفارس في الشهر وثم رفعها بعد ذلك إلى ثمانين درهما شهريا.

---

1 جهادية القره غولي، المرجع السابق، ص 203.

2 الكندي، كتاب الولاة وكتاب القضاة، تح رفن كيست، دار الآباء اليسوعيين، بيروت 1908، ص 68، 70، [illegible]

يذكر المؤرخون[1] أن المعتصم أسقط العرب عن الديوان حين أرسل إن والي مصر كيدر نصر بن عبد الله عام 216-218هـ يأمره بإسقاط العرب من الديوان. ومن الراجح أن بعض المؤرخين المتأخرين قد أخذوا بهذه الحادثة عن الكندي المتوفي سنة 350هـ والمقريزي ت 845هـ، ذلك أن المؤرخين المتقدمين كالبلاذري المتوفي سنة 279هـ واليعقوبي ت 282هـ والطبري ت 311هـ لم يذكروا هذا العمل من المعتصم، ولذلك فلابد من الاعتماد على هؤلاء بالنسبة لاقدميتهم.

ومن المرجح أن المعتصم أمر بإسقاط جماعة من القبائل العربية في الديوان في مصر فقط وكانوا معارضين للحكم منذ عهد المأمون أمثال لخم وجذام التي ذكرها الكندي[2] بقوله: "أن جمع منها ثاروا بقيادة يحي بن الوزير الجروي على اثر إسقاط العرب من الديوان". كما أن المعتصم في حرب الخرمي اعتمد على بعض القادة العرب منهم: أبا سعيد محمد بن يوسف، الهيثم الغنوي، محمد بن حميد، وأحمد بن الخليل ابن هشام وابن البعيث وجعفر بن حياط، وظفر بن العلاء السعدي، والحسين بن خالد المدائني.[3]

7-الأسطول البحري:

إن التواجد الإسلامي ببلاد الشام أعطى أهمية كبرى لوجود أسطول بحري لمضاهاة الأسطول البحري البيزنطي لذلك بادر معاوية بن أبي سفيان منذ أن تولى الشام إلى بناء أسطول ليس فقط لمحاربة البيزنطيين بل وكذلك لفتح الجزائر المنتشرة في البحر المتوسط. وبانتقال الخلافة إلى العباسيين ونقل العاصمة إلى بغداد لم يعد أمر الروم وهم أعداء المسلمين التقليديين من شواغل العباسيين الكبرى، فقل اهتمام الخلفاء بالأسطول في البحر المتوسط بالنسبة لما كان عليه في العهد الأموي حيث أصبح مركز الخلافة بعيدا عن البيزنطيين، كما أن بلاد العراق داخلية برية يحتم وضعها الجغرافي الاهتمام بالقوات البرية أكثر، وأصبحت فكرة الاستيلاء على القسطنطينية حلما لا هدفا كما في العصر الأموي، ولكن الحروب البحرية

1- الكندي والمقريزي.

2- الكندي، المصدر السابق، ص 193.

3- الطبري، المصدر السابق، ج9، ص 5، 10، 11، 15، 24، 29، 37.

استمرت بين الطرفين على شكل غزوات هدفها التمرين العسكري وإشغال الجيش لتأمين الغنائم[1]، كما أن انشغال الخلفاء العباسيين وانصرافهم إلى المشاكل الداخلية منذ القرن 3هـ/9م كما انصرفت الدولة البيزنطية بالفتن الداخلية، نجد أن السيطرة البحرية انتقلت إلى العالم الإسلامي في المغرب وسيطرت البحرية على الجزر في البحر المتوسط الأوسط والغربي.[2]

ويعد الرشيد من أوائل الخلفاء العباسيين الذين اعتنوا عناية كبيرة بالقوات البحرية والأساطيل، وكانت المناوشات في عهده تحدث في كل عام بين المسلمين والروم برا وبحرا، وقد ولى الرشيد حميد بن معيوف سواحل الشام فغزا قبرص سنة 190هـ حيث أسر 1600 من أهلها، ولما نقض أهل قبرص عهد الصلح في السنة نفسها غزاهم المسلمون حتى استسلموا.[3]

كان جنود البحرية في البداية من المتطوعين في العهد الراشدي، ثم أصبح رجال البحرية والأسطول من ضمن ديوان الجند في العهد الأموي والعباسي. كانت المعارك البحرية نادرة الوقوع في عرض البحر وإنما كانت قرب الموانئ والجزر، وأصبح البحر المتوسط ميدانا لاصطدام سفن المسلمين بسفن الروم.[4]

8-أثر التنظيمات الإدارية والعسكرية في دعم الخلافة العباسية:

1- أثر التنظيمات الإدارية:

لقد أصبح النظام الإداري في العهد العباسي الأول نظاما مركزيا على أساس النظام السياسي الذي سارت عليه منذ قيامها، والذي ينسجم ونظرية الحق الملكي المقدس، حيث كان الخليفة هو السلطة العليا، وارث بيت النبوة، وأصبح العمال في الأقاليم مجرد عمال لا ولاة مطلقي السلطة، هذه السياسة دعمت الدولة العباسية زمنا طويلا إلا أن الخليفة كان يعطي بعض الولاة صلاحيات تجاوزت بعض الأحيان إلى حد استقلالهم في ولايتهم — الأغالبة في تونس مثلا.

---

1 جهادية القره غولي: المرجع السابق، ص 237.

2 أحمد رمضان، تاريخ فن القتال البحري في البحر المتوسط العصر الوسيط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1988، ص 23.

3 اليعقوبي، ج2، ص 431؛ الطبري، ج8، ص 272.

4 ابراهيم العدوي، الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم، ص 185.

كان تقسيم الدولة إلى ولايات و ولاية إلى أقسام كما في الجزيرة والعراق والشام أدى إلى توزيع العمل الإداري وتنظيمه ما يشابه النظم الإدارية الحديثة. كما كانت الدواوين تضبط أنواع المسؤوليات الإدارية والمالية والاقتصادية كما عرضنا في ديوان البريد والرسائل والتوزيع والخاتم من أثر في ربط ولايات الدولة ومدنها البعيدة بمركز الخلافة على أساس متين ودقيق. وكان لديوان الخراج أثره المالي والاقتصادي في تهيئة موارد الدولة من الولايات حسب إمكانياتها الاقتصادية، والعدالة في النفقات على مصالحها بالدرجة الأولى، وقيام بيت المال العام بميزانيته على النفقات العامة التي تتطلبها مصلحة الدولة الكبرى. كما كان للدواوين التي تنشأ في ظروف طارئة كديوان المصادرات والمظالم من مظاهر العدالة لحماية القواعد الخلقية الإسلامية. و كان لديوان الشرطةأثر كبير في ضمان أمن البلاد، وضمان القوانين الموضوعة لحماية المجتمع والدولة.

2- أثر التنظيمات العسكرية:

إن أثر التنظيمات العسكرية في تدعيم كيان الدولة العباسية كان عظيما، لأن الدولة التي حكمها العباسيون كانت واسعة الأطراف، لقد ساعدت التنظيمات على دعم كيان الخلافة العباسية في مواجهة الأخطار المحيطة بها في الداخل والتي تمثلت في الفتن الداخلية وقيام الحركات الاستقلالية في بعض بلدان الخلافة، وفي الخارج حيث تمثلت في مواجهة خطر البيزنطيين وضرورة حماية التجارة عبر أطرافها الواسعة.

أ-القضاء على الفتن الداخلية: حارب المنصور الراوندية، وحارب المهدي المقنعية عام 161هـ حيث خرج المقنع في خراسان، وقضى المعتصم على الخرمية في أذربيجان سنة 223هـ، كما خرج الزط بالبطائح، وغيرها من الثورات الداخلية.

ب-مواجهة طلائع الحركات الاستقلالية:

1- في الأندلس: كان نزاع المضرية واليمنية في بلاد الأندلس من العوامل التي أضعفت حكم العباسيين فيها بعد سقوط الدولة الأموية، وسهلت المهمة على عبد الرحمن بن هشام بن عبد الملك الذي برغم الصعوبات التي واجهته إلا أنه استطاع أن يصل الأندلس ويسيطر على مدنه مدينة بعد الأخرى. وأرسل المنصور العلاء بن مغيث اليحصبي من افريقية لمحاربة عبد الرحمن إلا أنه فشل عند اشبيلية وقتل، وعندئذ بادر المنصور إلى استمالة عبد

الرحمن بالمراسلات إلا أنه فشل، حاول المهدي أن يسترجع الأندلس إلا أن بعد الشقة حال دون ذلك، أرسل الجيش جعلته يرسا عبد الرحمن بن حبيب الفهري إلا أنه فشل في برشلونة، أما الرشيد فقد عمل بعد تقاربه مع شارلمان على جعل الأخير يشغل الأمويين بالأندلس عن أمر التوسع في افريقية والشرق، وهكذا ظلت فكرة إعادة الأندلس تشغل الخلفاء العباسيين مع عجزهم السياسي والعسكري عن تنفيذها طيلة العصر العباسي الأول.[1]

2- **الأدارسة**: أدرك الرشيد الخطر الذي أظهره إدريس بن عبد الله منذ عام 172هـ، لذلك فكر في التخلص منه فقتله سنة 177هـ، وبعد موته بشهرين وضعت زوجته ابنا سمي إدريس.

3- **الأغالبة**: كان قيام الأغالبة بافريقية نتيجة السياسة التي سار عليها الرشيد في تأديب البربر حلفاء إدريس والوقوف في وجه الأدارسة. طلب إبراهيم بن الأغلب من الرشيد أن يوليه إفريقية على أن يتنازل عن 100 000 دينار التي اعتادت مصر إرسالها إليه في كل سنة، كما تعهد بأن يرسل إلى بيت المال 40 000 دينار[2]، فولاه الرشيد البلاد منذ عام 184هـ ولما آلت مقاليد الحكم لإبراهيم بن الأغلب ضبط أمورها وقضى على عدة ثورات فيها، وتمتعت دولته باستقلال، كما وقفت في وجه الأدارسة، ثم ما لبثت أن استقلت على مر الزمن بحيث لم يبق للخليفة العباسي فيها سوى ذكر اسمه في الخطبة ونقشه على السكة.

ج- **الدفاع على أطراف الدولة**: لقد انتهز البيزنطيون فرصة انشغال العباسيين بالثورة وأحداثها فأغاروا على منطقة التخوم ودمروا خط حصون الفرات ثم الخط الممتد من الفرات إلى البحر، مهددين بذلك ثغور الدولة العباسية تهديدا خطيرا.

وحينما تولى المنصور الخلافة اهتم بتحصين التخوم ويعد هو الذي وضع أسس النظام الثغري الذي وصل حد الكمال زمن المعتصم، كما حدد أساليب القتال التي حافظ عليها الخلفاء من بعده والتي تمثل في تنظيم الحملات المسماة (الصوافي والشواتي) كما اهتم بتنظيم الثغور الجزرية والشامية التي كانت تتولى الغزو من البر والبحر بالاشتراك مع أسطول مصر.

---

1 حسن ابراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة (دت)، ج2، ص 184.

2 اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص 412.

د- معوقات الطرق التجارية: تعرضت جيوش العباسيين حدود فارس ... لمشقات كثيرة بالإضافة إلى قطاع الطرق التي كانت تعترض القوافل التجارية، وكانت سفن مسلمير تمر في ذهابها وعودتها إلى الهند والصين بهذه البلاد، وكان ميناء عدن جنوب الحجاز مرسى لسفن الآتية من كل أنحاء آسيا وساحل إفريقية الشرقي، كما كانت المنطقة الواقعة عند مصب نهر السند تحت سيطرة المسلمين، وكان هناك طريق تجاري يسير من تلك المنطقة نحو داخل فارس وإلى شماله كان طريق القوافل التجارية إلى أفغانستان وخراسان وبخارى. لقد كان للتنظيمات العسكرية أثر كبير في حماية الطرق التجارية البرية والبحرية في العصر العباسي الأول مما أدى إلى ازدهار التجارة.

الخاتمـــــة:

يتضح من خلال هذا البحث أن الجيش العباسي بلغ في العصر الأول درجة كبيرة من الرقي في مجال التنظيم والتسليح، وقد تطور ديوان الجند تطورا كبيرا، وظهر له مجالس أشبه ما تكون بالهيئات أو اللجان، منها ما له علاقة بالأمور المالية أو المتعلقة بإثبات الجند أو توزيع الأرزاق، أو الشؤون المتعلقة بالمراسلات. وظهرت صنوف جديدة زادت من فاعلية الجيش القتالية والملحقة كالفعلة (المهندسون) والكوهبانية (المخابرون) في المناطق الجبلية التي تتطلب جهدا كبيرا لفتح الطرق أو إنشاء المعابر.

وشمل التطور أيضا أسلحة الجيش فقد كانت خزائن السلاح تحوي أصنافا كثيرة من الأسلحة والآلات الحربية مما لا يمكن حصره، وقد نالت طرق المواصلات العسكرية ووسائل المخابرات عناية بالغة فأنشئ البريد العسكري الذي كان يؤمن سرعة إيصال الأخبار، كما كان نظام المخابرات على درجة كبيرة من الدقة والتنظيم. كما شهد العصر حصول الفداء وتبادل الأسرى بين المسلمين والبيزنطيين نتيجة لكثرة الحروب ووقوع أعداد كبيرة من الأسرى لدى الطرفين، وقد كان يسبق هذه العملية مفاوضات لتحديد عدد الأسرى وشروط التسليم ومكانه.

وأخيرا لابد من الإشارة إلى الأساليب التعبوية في القتال التي استخدمها العباسيون، فقد أظهر القادة في مختلف الأساليب القتالية في جميع صفحات المعركة براعة أدهشوا بها خصومهم وتوصلوا إلى وضع مفاهيم جديدة في القتال وأساليب تعبوية جديدة، كذلك دلت على عبقريتهم.